

انفرادات الإمام أبي جعفر المدني وأثرها في التفسير وبيان المعنى

إعداد

د. محمد رمضان

الملخص:

هذا البحث يعتني بدراسة مواضع انفراد الإمام أبي جعفر المدني عن باقي القراء في القرآن الكريم، ودراستها، وأثرها في التفسير وبيان المعنى، وتوجيهها. منهج البحث: المنهج الاستنباطي. ومن أهمية موضوع البحث: الحاجة لمثل هذا النوع من الممارسات العلمية، التي من شأنها أن تحدث تآلفاً بين علم القراءات، وغيره من العلوم ذات الصلة الوثيقة به. ومن نتائج وتوصيات البحث: العناية بانفرادات القراء توجيهاً وبياناً؛ حيث فيها الكم الهائل من المعاني اللطيفة الجسيمة.

الكلمات المفتاحية: الانفراد، القراءات، القرآن، التفسير.

Summary:

This research is concerning the study of the places where Imam Abu Ja'far Al-Madany is unique in comparison to the rest of the reciters in the Holy Qur'an - studying them, their impact on interpretation, clarifying the meaning, and guiding them.

Research method:

Deductive method. Among the importance of the research topic is the need for this type of scientific practice, which would create harmony between the science of readings and other sciences closely related to it. Among the results and recommendations of the research, are paying attention to readers' idiosyncrasies with guidance and clarification. It contains a huge amount of beautiful and great meanings.

Keywords: uniqueness, the methods of recitation(Qira'at), the Qur'an, interpretation.

خطة الدراسة

المقدمة وفيها أهمية الموضوع ، والمنهج ، والدراسات السابقة ، ومحتويات البحث وهي كالتالي : التمهيد: وفيه مبحثان:

المطلب الأول: مفهوم القرآن لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: : مفهوم القراءات لغةً واصطلاحاً.

المبحث الأول: ويشتمل على مبحثان:

المطلب الأول: مفهوم الانفراد وأهمية دراسته.

المطلب الثاني: ترجمة الإمام أبي جعفر وراوييه.

المبحث الثاني: توجيه بعض انفرادات قراءة الإمام أبي جعفر، وأثر ذلك في التفسير وبيان المعنى، ويشتمل على عدة مباحث.

الخاتمة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- الرغبة في الاطلاع على علاقة انفرادات الإمام أبو جعفر بالتفسير.

٢- الحاجة لمثل هذا النوع من الممارسات العلمية، التي من شأنها أن تحدث تآلفاً بين علم القراءات، وغيره من العلوم ذات الصلة الوثيقة به.

٣- لفت انتباه الباحثين إلى أهمية القراءات في التفسير.

٤- قلّة العناية بوجوه قراءة الأئمة الثلاثة المتممين للعشرة، مقارنةً بجوانب العناية المتعددة والمتنوعة لقراءات الأئمة السبعة.

منهج البحث:

سأنتبع -مستعيناً بحول الله تعالى وتوفيقه- المنهج الاستنباطي في تفسير الآيات القرآنية

على ضوء انفرادات الإمام أبو جعفر.

الدراسات السابقة:

- ١- انفرادات القراء السبعة - دراسة لغوية - د. خليل رشيد أحمد (رسالة دكتوراة)، كلية التربية، تكريت، العراق، نوقشت (٢٠١٠).
- ٢- التوجيه اللغوي للقراءات التي انفرد بها القراء الثلاثة المكملين للعشرة، إعداد: محمد أحمد ناصر العودات (رسالة ماجستير)، كلية الآداب، عمان، نوقشت (٢٠١٣).
- ٣- مظاهر الإعجاز في انفرادات الإمام أبي جعفر - دراسة تطبيقية - أحمد بن علي بن عبد الله السديس، بحث في مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد (٢٦)، الرياض (٢٠١٤).
- ٤- ما انفرد به كل قارئ وراو من القراء العشرة (دراسة نحوية صرفية)، إعداد: مراد عبد الباسط طمبل علي (رسالة دكتوراة)، جامعة افريقيا العالمية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الخرطوم (٢٠١٩).

التمهيد:

المطلب الأول: مفهوم القرآن لغةً واصطلاحاً.

القرآن في اللغة: اختلف أهل العلم في تعريف القرآن من حيث اللغة والاشتقاق، فذهب بعضهم، ومنهم اللحياني إلى أنه مصدر مرادف للقراءة، فهو على هذا مشتق من قرأ المهموز يقال: قرأت قراءةً وقرآنا (كالشكران) من شكرت، و(كالرجحان) من رجحت، و(كالغفران) من غفر الله لك، و(كالخسران) من خسرت^(١).

ومن هنا فإن لفظ (القرآن) مصدرٌ أطلق علما على الكلام المقروء، أي: المفعول من باب إطلاق المصدر على مفعوله يقال: قرأته قرأاً وقراءةً وقرآنا بمعنى واحدٍ، وقرأ فلان قراءة حسنة، فأنا قارئٌ والقرآن مقروء^(٢)، فسمي بالمصدر، والتسمية به كثيرة في اللغة.

وذهب آخرون إلى أن القرآن مأخوذ من (القرء) بفتح القاف، وهو يعني الجمع، تقول: قرأ الماء في الحوض، أي: جمعه فيه، ومنه كلمة (القرية): الموضع من الأرض الذي يجتمع فيه فريق من الناس^(١).

(١) المفردات في غريب القرآن: مادة (قرأ) (١/٦٦٨).

(٢) العين (٥/٢٠٤-٢٠٥).

وقيل: إن (القرآن) مأخوذ من (قرن)، أو من (الاقتران)؛ لأن "آياته وسوره مقترن بعضها ببعض اقترانا وثيقا يتجلى فيه التماسك والتلاحم" (٢).

ويلاحظ من هذا القول: أن (القرآن) كلمة غير مهموزة، على أنها من قرن، أو من الاقتران، وقيل: من القرائن.

وعلى الرغم مما سبق ذكره، فإن الرأي الراجح هو الأول، وهو: أن (القرآن) مأخوذ من (قرأ).

أما تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً: "فهو اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر الناس" (٣).

وقيل: "هو الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصحف، المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته" (٤).

المطلب الثاني: مفهوم القراءات لغةً واصطلاحاً.

القراءات لغة: القراءات جمع مفردها قراءة، ومادة "قرأ" تدور في لسان العرب حول معنى الجمع والاجتماع (٥). والقراءة من قرأ يقرأ قراءة وقرآناً فهو قارئ، وهم قراء وقارؤون (٦). فالقراءة مصدر من قول القائل: قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، كقولك: ما قرأت الناقة سلي قط، تريد أنها لم تضم رحماً على ولد. ومعنى قرأت القرآن بناء على هذا: لفظت به مجموعاً (٧).

(١) تهذيب اللغة: مادة (قرأ) (٢٢٥/٨).

(٢) دراسات في علوم القرآن (ص: ٩).

(٣) هذا التعريف تعريف للقرآن بالإشارة ، وهو معزو إلى المتكلمين، والأصوليين، والفقهاء، وعلماء اللغة العربية. انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٨).

(٤) المرجع السابق (٢٤/١). وهذا التعريف يعد من تعريف القرآن بالعبرة.

(٥) معجم مقاييس اللغة: باب (القاف، والراء) (٧٩/٥).

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس: مادة (قرأ) (١/ ١٠١).

(٧) لسان العرب: فصل (القاف)، باب (الهمزة) (١٢٨/١).

وبناءً على ذلك: فإن "المختار من لفظ القرآن من حيث اللغة أنه مصدر على زنة الغفران والرجحان، فهو بمعنى القراءة وهمزته أصلية ونونه زائدة، وبشهادة لكونه في اللغة مصدر بمعنى القراءة؛ وروده بهذا المعنى في موضعين من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [سورة القيامة: ١٧، ١٨]. أي: قراءته (١).

وهذا القول المختار الراجح، وعليه لا تختلف حقيقة القراءات اللغوية، ولفظ القرآن من الناحية اللغوية، وقد جرى إطلاق لفظ (القراءة) على صنيع القراء في أداء النص القرآني وتلاوتهم للآية الكريمة، فنقول: قراءة نافع، وقراءة عاصم، وقراءة حمزة، وهكذا (٢).

قال الراغب الأصفهاني: "القراءاتُ جمعُ قراءةٍ، ومعناها: ضم الحروف بعضها إلى بعض في الترتيل" (٣).

أما تعريف القراءات اصطلاحاً: "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة" (٤).

وقفة مع التعريف: بعد تدقيق النظر في هذا التعريف يتبين أنه أصوب تعريف؛ لأنه حدد ماهية هذا العلم من جمعه الأداء، وكذا مواضع الاتفاق والاختلاف، ونسبة ذلك إلى قارئه وناقله، وخرج ما عدا ذلك مما هو ليس من القراءات كالنحو واللغة والتفسير والتجويد والرسم وغير ذلك.

المبحث الأول:

المطلب الأول: مفهوم الانفراد وأهمية دراسته.

الانفراد: لغة، يقال انفرد بالشيء: إذا استفرده، ويقال: أفرد وانفرد واستفرد بمعنى تفرد به (١). والفرد: "الذي لا يختلط به غيره، فهو أعم من الوتر، وأخص من الواحد، وجمعه فرادى" (٢)، ومنه قوله تعالى: (رب لا تدركني فردا وأنت خير الوارثين).

(١) البيان في مباحث علوم القرآن (ص: ٢١).

(٢) المرجع السابق (ص ٢١).

(٣) مفردات القرآن (١/٢٣).

(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص: ٣).

أما اصطلاحاً: فهو أن يتفرد قارئ بقراءة معينة دون بقية القراء، سواء أكان برواية راو من الرواة عنه، أم بأكثر (٣).

وهذا يعني: أن محل هذا الانفراد هو الإمام المقرئ الذي تروى عنه القراءة، سواء أكثر الرواة أم قلوا، فتروى عنه قراءة ينفرد بها، ولم يقرأ بها أحد من القراء العشرة إلا هو (٤).

أهمية دراسة الانفرادات: تتجلى أهمية دراسة الانفرادات عند القراء العشرة في جانبين:

أولهما: أن لهذه الانفرادات أهمية بالغة، ودورا هاما في نفي أي تناقض أو تنافر بين القراءات القرآنية المتواترة عموما وخصوصا، لاسيما فيما يكون له علاقة بالدراسات اللغوية، وتظهر حقيقة ذلك في استقصاء معاني الانفراد قياسا بقراءة الجمهور، وتطرد من الأذهان شبهات التناقض أو التضاد بين القراءات القرآنية المتواترة، كما يزعم بذلك من يزعم، إن كان يتصور وجود تناقض بين القراءات عموما (٥)، فإن من المنطق السليم المنصف أن يظهر ذلك التناقض بجلاء أن في ما ينفرد بقراءته من القراءات القرآنية. فدراسة الانفرادات تدفع جانبا كبيرا من الإشكالية التي تثار حول اختلاف القراءات المتواترة لغة ومعنى (٦).

ثانيها: تعد القراءات القرآنية كنزا لغويا وأدبيا لم يكتشف بعد، وأنها بما أثارته من حوار وجدل فقد أخصبت التفكير العربي، وشحذت الهمم والعقول لمناقشتها وتحليلها، والحكم عليها، والانفرادات كجزء من تلك القراءات معين لا ينضب، وزاد لا ينفد، ويمكن ضرب عشرات الأمثلة للأهمية اللغوية لانفرادات القراء العشرة، ولكننا نكتفي بعرض عدة أمثلة، منها:

(١) القاموس المحيط: مادة (فرد) (٤٤٣/١).

(٢) المفردات: مادة (فرد) (ص: ٦٢٩)، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية (ص: ٣٩١).

(٣) الجمع والتوجيه لما انفرد بقراءته يعقوب الحضرمي (ص: ١٨).

(٤) طبيعة الاختلاف بين القراء العشرة وبيان ما انفرد بقراءته كل منهم (ص: ١٩٢).

(٥) ناقش الدكتور غانم قدوري الحمد هذا الموضوع، وتكفل بالرد عليهم في كتابه (أبحاث في علوم القرآن) (ص: ١٤-٢٤).

(٦) طبيعة الاختلاف بين القراء العشرة (ص: ١٩٣).

١- من أهمية الانفراد الجمع بين حكمين مختلفين، نحو: قراءة (عاقدم) بألف بعد العين وتخفيف القاف، و (عقدتم) بتشديد القاف وحذف الألف (١)، ينبغي الجمع بينهما، وهو أن الكفارة واجبة على من عقد العزم بالقصد والنية، سواء في اليمين الواحدة -كما دلت عليه قراءة (عاقدم) - كانت أم في الأيمان المكررة - كما دلت عليه قراءة (عقدتم).

٢- إن في انفرادات القراء العشرة حجة لقول بعض علماء العربية، نحو قراءة: (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) بالجر في قراءة حمزة، فإن النحاة احتجوا بهذه القراءة على جواز عطف الاسم المجرور (الأرحام) على الضمير في (به) من غير إعادة حرف الجر.

٣- من أهمية الانفرادات: الاحتفاظ بلهجات القبائل، من همز وتسهيل، وفتح وإمالة، وإدغام، وإظهار، والتزام المثني للألف، إلى غير ذلك (٢).

المطلب الثاني: ترجمة الإمام أبي جعفر وراوييه.

ترجمة الإمام أبي جعفر: هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر، ويقال: اسمه جندب بن فيروز وقيل: فيروز، عرض القرآن على مولاة عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وروى عنهم، ويقال: إنه قرأ على زيد بن ثابت قال الذهبي: ولم يصح، قلت: رويناه عنه أنه أتى به إلى أم سلمة وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، وصلى بآبى عمر وأقرأ الناس قبل الحرية والحررة سنة ثلاث وستين، روى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم وسليمان بن مسلم بن جماز وعيسى بن وردان وأبو عمرو وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسماعيل ويعقوب ابناه وميمونة بنته.

مات أبو جعفر بالمدينة سنة ثلاثين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة سبع وعشرين، وقيل: سنة ثمان وعشرين، وأبعد الهذلي في كامله حيث قال: سنة عشر (١).

(١) من قوله تعالى: (ولكن يواخذك بما عقدتم الأيمان)، ف (عاقدم) قراءة ابن عامر الشامي في رواية ابن ذكوان، و(عقدتم) قراءة بقية السبعة.

(٢) منجد المقرئين (ص: ٥٩) وما بعدها.

ترجمة الإمام ابن وردان: هو عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء إمام مقرئ حاذق وراو محقق ضابط، عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع وهو من قدماء أصحابه قال الداني: هو من جلة أصحاب نافع وقدمائهم، وقد شاركه في الإسناد، مات في حدود الستين ومائة (٢).

ترجمة الإمام ابن جمار: هو سليمان بن مسلم بن جمار وقيل: سليمان بن سالم بن جمار بالجميم والزاي مع تشديد الميم أبو الربيع الزهري مولا هم المدني مقرئ جليل ضابط، عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع عرض عليه إسماعيل بن جعفر وقتيبة بن مهران، مات بعد السبعين ومائة فيما أحسب (٣).

المطلب الثاني: توجيه بعض انفرادات قراءة الإمام أبي جعفر، وأثر ذلك في التفسير

وبيان المعنى:

المطلب الأول: قوله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧].

القراءات:

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: (فلا رفث ولا فسوق).

١- زاد أبو جعفر وحده فرفع (ولا جدال).

٢- قرأ الباقر: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال) بالفتح.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة النصب (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال) المبالغة والتعميم في النفي؛ باعتبار أن (لا) هنا نافية للجنس.

قال ابن عاشور: "وقد نفي الرفث، والفسوق، والجدال، نفي الجنس مبالغة في النهي عنها

(١) غاية النهاية في طبقات القراء (٢٨٣/٢-٢٨٤).

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٦١٦).

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣١٥).

وإبعادها عن الحاج، حتى جعلت كأنها قد نهى الحاج عنها فانتفى فانتفى أجناسها. وأما على قراءة أبي جعفر برفع الثلاثة مع التثوين فإن (لا) هنا ليست نافية للجنس، بل هي غير عاملة، تفيد نفياً مخصوصاً، وهو نفي المشروعية لا في الوجود حساً. قال ابن العربي في توجيهه للآية الكريمة: "ليس نفياً لوجود الرفث، بل نفي لمشروعيته، فإن الرفث يوجد من بعض الناس فيه، وأخبار الله لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره، وإنما يرجع النفي إلى وجوده مشروعاً لا إلى وجوده محسوساً"^(١). وأما على قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال) فقد قال الزمخشري في توجيهها: "أنهم حملوا الأولين على معنى النهي، كأنه قيل: فلا يكون رفث، ولا فسوق، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال، كأنه قيل: ولا شك، ولا خلاف في الحج"^(٢).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءات يصبح معنى الآية: يجب على من ألزم نفسه بالحج أن يتجنب الجماع ومقدماته، وجميع أنواع الذنوب والمعاصي، والابتعاد عن الجدال سواء في مشروعية الحج أو غيره من خصومات، فهذه أمور ينبغي المبالغة في اجتنابها، خصوصاً للحاج لحرمتها، وأثرها السيئ عليه؛ حيث إن بعض صورها كالجماع والزنا والكفر تفسد الحج وتبطله. المطلب الثاني: قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَّةَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ بَدَأَ اللَّهُ يُخَوِّفُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ} [النساء: ٣].

القراءات:

- ١ - قرأها أبو جعفر بالرفع: (فواحدة).
- ٢ - قرأ الباقر بالنصب: (فواحدة)^(٣).

معنى القراءات:

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٢٣٣).

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ١٣٤).

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٤٧).

قراءة الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، أي: فالمقنع واحدة، أو فاعل لفعل محذوف تقديره فيكفي واحدة.

وقراءة (فواحدة) بنصب التاء، على أنها مفعول لفعل محذوف، والتقدير: فانكحوا واحدة، وقيل التقدير: فالزموا أو فاخثاروا واحدة^(١).

التفسير:

يوجه الله تعالى المؤمنين بقوله: إن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت حبوركم وولايتكم، وخفتم ألا تقوموا بحقهن لعدم محبتكم لهن، فانكحوا من النساء بسبب ما يطيب لكم من أخلاقهن وجمالهن، بحيث لا تجمعوا أكثر من أربع، وإنما يباح ذلك إذا أمن المرء على نفسه الوقوع في الجور والظلم، ووثق من القيام بحقوقهن، فإن خاف شيئاً من هذا فليقتصر على واحدة، أو على ما ملكت يمينه، ذلك أقرب إلى عدم الظلم الذي تقسد معه الحياة^(٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد جاء التوجيه في القراءة الأولى قراءة الرفع، بضرورة الاختصار على زوجة واحدة، فهي تكفي وتقع.

ما قراءة النصب، فقد بينت العلة التي من أجلها يفضل للإنسان الاختصار على زوجة واحدة؛ وهو الخوف من عدم إمكانية العدل بين الزوجات حال التعدد في القسمة، ونحوه.

المطلب الثالث: قوله تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ٥٨} [الأعراف: ٥٨].

القراءات:

١- قرأ أبو جعفر: (إِلَّا نَكِدًا) بفتح الكاف.

٢- قرأ الباقر: (إِلَّا نَكِدًا) بكسرها.

المعنى اللغوي للقراءات: المعنى: قال الرازي: النكد: العسر الممتع من إعطاء الخير

(١) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها (٢/١٤٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ١٦٤).

على جهة البخل، وقال الليث: النكد: اللؤم والشؤم وقلة العطاء، ورجل أنكد ونكد.
قال القرطبي: "قرئ (نكداً)، بكسر الكاف نصباً على الحال، وهو العسير الممتع من إعطاء الخير، وقرئ بفتحها على المصدر، بمعنى: ذا نكد، وقيل: هي بكسر الكاف وفتحها لغتان بمعنى: كالدَّنف والدَّنِف" (١). وقال الألوسي: "على قراءة فتح الكاف يحتمل النصب على الحال أو على المصدرية أو ذا نكد، أو خروجاً نكداً" (٢).

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين تبين: أن حال القلوب التي تشبه الأرض الرديئة السبخة، فهي قد لا تثمر أبداً، وإن كان منها ما يثمر ولكنه قليل عديم النفع، ففي القراءتين بيان لأصحاب هذه القلوب النكدة، فنكد، ونكد، وأنكد، هي شؤم عسير، وهم أنكاد ومناكيد، أي: لا خير فيهم.
فعلى قراءة (نكداً) بفتح الكاف، على المصدر أي ذا نكد، يقال نكد الغراب: استقصى في شحيجه، وناقاً نكداً: لا لبن فيها أبداً. أما (نكداً) بكسرهما، لأصل النكد: العسر القليل الذي لا يخرج إلا بعناء ومشقة، يقال نكدت البئر: قل ماؤها (٣).

المطلب الرابع: قوله تعالى: {الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٦٦} [الأنفال: ٦٦].

القراءات:

- ١- قرأ عاصم، وحزمة، وخلف: (ضَعْفًا) بفتح الضاد.
- ٢- وقرأ أبو جعفر: (ضُعْفَاءً) بفتح العين والمد والهمز مفتوحة.
- ٣- قرأ الباقر: (ضُعْفًا) بضم الضاد، وإسكان العين، والفاء منوئاً من غير مدٍ، ولا همز (٤).

(١) تفسير القرطبي (٧ / ٢٣١).

(٢) تفسير الألوسي (٤ / ٣٨٦).

(٣) انظر: صفوة البيان (ص: ٢٠٩).

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر (٢ / ٢٠٨)، الهادي (٢ / ٢٧١).

المعنى اللغوي للقراءات:

ضَعْفًا وضُعْفًا لغتان يقول الطبري: "وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ، فهو مصيب الصواب"^(١).

أما من قال بأن قراءة (ضُعْفًا) بالضم، أي: ضعف في الجسد فيكون المعنى: أن الضعف الطارئ بعد عدم القوة البدنية على الحرب؛ لأنه قد صار فيهم الشيخ والعاجز نحوهما، وكانوا قبل ذلك طائفة منحصرة معلومة قوتهم وجلادتهم.

أما قراءة (ضَعْفًا) بالفتح، أي: ضعف في الرأي والبصيرة، فيكون المعنى: أن الضعف الطارئ ضعف البصيرة والاستقامة، وتفويض النصر إلى الله تعالى، إذا كان فيهم قوم حديثو عهد بالإسلام، ليس لهم ما للمتقدمين من ذلك.

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين: يكون ضعف في الجسد وفي البصيرة والله أعلم.

وأما قراءة (ضُعْفَاءً) فهذا الجمع يفيد أن: الكثرة هي سبب للضعف؛ لأن بها يضعف الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه سبحانه، ويقوى جانب الاعتماد على الكثرة كما في حنين، فيكون المعنى: الآن خَفَّفَ الله تعالى عنكم لما ظهر متعلق علمه، أي: كثرتكم التي هي موجب ضعفكم، بعد ظهور قلتكم وقوتكم

المطلب الخامس: قوله تعالى: {أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلِيًا بِهِ تَبِيعٌ} [الإسراء: ٦٩].

القراءات:

١- قرأ أبو جعفر: (الرياح) بالجمع.

٢- قرأ الباقر: (الريح) بالإنفراد.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ومما انفرد به الإمام أبو جعفر في هذه الآية لفظ {الرَّيْحُ}، فقرأها بالجمع: (الرياح)،

(١) جامع البيان (٤٢/١٠).

وقرأها الباقون بالإفراد: (الريح)، واختلف أهل العلم من المفسرين هل هما بنفس المعنى أم بينهما خلاف؟ على قولين:

الأول: أنهما مختلفين في المعنى؛ فالريح حينما تذكر مفردة؛ فالمقصود بها ريح العذاب، وإن ذكرت بالجمع؛ فالمقصود بها رياح الرحمة، ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب، قال: كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب^(١).

قال القرطبي: ومن جمع مع الرحمة ووحد مع العذاب فإنه فعل ذلك اعتباراً بالأغلب في القرآن، نحو: "الرياح مبشرات" و"الريح العقيم"؛ فجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب^(٢).

وقال الماوردي: "وقيل: لأن الرياح جمع وهي: الجنوب، والشمال، والصبأ؛ لأنها لواقع، والعذاب ريح واحدة وهي: الدبور؛ لأنها لا تلقح"^(٣).

الثاني: أنه لا فرق بينهما في القراءة من حيث المعنى؛ لاعتبار أن إفراد الريح المراد به الجنس؛ وهو يدل على الكثير والقليل، ومن جمع فباعتبار الجهات التي تهب منها الرياح.

قال القرطبي: "فمن وحد الريح؛ فلأنه اسم للجنس يدل على القليل والكثير، ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح"^(٤).

وحيث أن المقام هنا هو مقام ذكر العذاب للكافرين، فناسب أن يكون المقصود من قراءة الإفراد الجنس، ومع ذلك فقد أفادت قراءة {الرَّيحِ} بالإفراد؛ أن الله يرسل على الكافرين ريحاً يعذبهم بها، وجاءت قراءة {الرياح} بالجمع؛ لتبين أن الريح المرسلة عليهم ريحٌ كثيرة، تهب من كل جانب؛ مما يدل على هول العذاب وشدته .

وقد شبه الإمام النسفي الشيطان بالريح التي تعصف بالمشرك فتوقعه في الضلال والشرك

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٢٧٥).

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ١٩٨).

(٤) تفسير الماوردي (٤/ ١٤٨).

(١) تفسير القرطبي (٢/ ١٩٨).

بالله في آية الحج فقال: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ) سقط (مَنْ السماء) إلى الأرض (فَتَخَطَّفَهُ الطير)، أي: تسلبه بسرعة فتخطفه، أي: تتخطفه مدني (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ)، أي: تسقطه والهوي السقوط، (في مكان سحيق) بعيد يجوز أن يكون هذا تشبيهاً مركباً، ويجوز أن يكون مفرقاً، فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده؛ بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء، فاختطفته الطير فتفرق قطعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة، وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي أشرك بالله بالساقط من السماء، والاهواء المردية بالطير المختلفة، والشيطان الذي هو يوقعه في الضلال بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة^(١).

المطلب السادس: قوله تعالى: ﴿هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ۝٣٦﴾ [المؤمنون: ٣٦].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر: {هِيَاتَ هِيَاتَ} بكسر التاء منهما.

٢ - قرأ الباقر: {هِيَاتَ هِيَاتَ} بفتحها فيهما^(٢).

المعنى اللغوي للقراءات:

هيات: هيات كلمة تستعمل لتبعيد الشيء، يقال: هيات هيات وهياتاً، ومنه قوله تعالى: {هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ}، قال الزجاج: البعد لما توعدون...، وقال الفسوي: هيات بالكسر جمع هيات بالفتح^(٣). و(هيات) كلمة مبنية على فتح الآخر وعلى كسره أيضاً، وقرأها الجمهور بالفتح. وقرأها أبو جعفر بالكسر، وتدل على البعد. وأكثر ما تستعمل مكررة مرتين كما في هذه الآية، أو ثلاثاً كما جاء في الشعر.

واختلف فيها أهي فعل أم اسم؟ فجمهور النحاة ذهبوا إلى أن: (هيات) اسم فعل للماضي من البُعد، فمعنى هيات كذا: بُعد؛ فيكون مايلي (هيات) فاعلاً، وقيل: هي اسم

(١) تفسير النسفي (٢/ ٤٣٩).

(٢) انظر: النشر (٢/ ٣٢٨).

(٣) المفردات (ص: ٨٤٧ - ٨٤٨)، وانظر: تفسير البياضوي (ص: ٤٦٤).

للْبُعْد^(١).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة {هَيَّاتَ هَيَّاتَ}، بالفتح على الأفراد: معنى: بعيدٌ بعيدٌ ما توعدون بشأن بعث كل إنسان بعد موته. بينما تفيد قراءة {هَيَّاتِ هَيَّاتِ}، بالكسر على الجمع: بمعنى: بعيدٌ بعيدٌ ما توعدون بشأن بعث جميع الخلائق بعد موتها.

يقول ابن جني: "أما الفتح - وهي قراءة العامة - فعلى أنه واحد، وهو اسم سُمِّي به الفعل في الخبر، وهو اسم (بعْدَ)، ومن كسر فقال: (هَيَّاتِ) منوناً فهو جمع هيات أو غير منون"^(٢).

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين: يتبين أن الكفار يستبعدون أمر بعثهم بعد الموت استبعاداً تاماً، بمعنى قولهم: إنه يستحيل بعثكم جميعاً بعد الموت، كما يستحيل بعث أي منكم بعد موته، والله أعلم.

المطلب السابع: قوله تعالى: {قَالُوا طَئِزُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ١٩} [يس: ١٩].

القراءات:

أولاً: (أئن): ١ - قرأ أبو جعفر: بفتح الهمزة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف بينها وبين الأولى، على أصله.

٢ - قرأ الباقر: بكسرها، وكلٌّ على أصله في التسهيل، وغيره.

ثانياً: (ذُكِّرْتُمْ): ١ - قرأ أبو جعفر: بتخفيف الكاف.

٢ - قرأ الباقر: بتشديد^(٣).

الجمع بين القراءتين:

(١) التحرير والتنوير (١٨ / ٥٤) بتصرف بسيط.

(٢) المحتسب (٢ / ٩١)، وانظر: المحرر الوجيز (٤ / ١٤٣).

(٣) النشر في القراءات العشر (٢ / ٣٥٣)، والبدور (ص: ٣٢٩).

من قرأ: (أَنْ ذَكَرْتُمْ) بتشديد الكاف؛ فعلى أنه فعل ماضي مبني للمجهول من التذكر، وتاء المخاطبين نائب فاعل، وهي بمعنى: أَيْنَ تشاءمتم؟، لأنَّ {نَطِيرُنَا بِكُمْ} معناه: تشاءمنا بكم، فكانهم قالوا: أئن ذكرتم تشاءمتم؟، وحذف الجواب لتقدم ما يدل عليه. ومن قرأ: (أَنْ ذَكَرْتُمْ) بتخفيف الكاف من الذكر بمعنى لأن ذكرتم.

والقراءتان بمعنى واحد، والآية فيها تقريب للكفار، تقول لهم: إن الطائر الذي تتسبون إليه الشؤم هو معكم، أي: في نفوسكم، فسبب شؤمكم هو كفركم، وسوء سمعكم للمواعظ، والله أعلم. المطلب الثامن: قوله تعالى: {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ٥٣} [يس: ٥٣].

القراءات:

- ١- قرأ أبو جعفر: برفع التاء فيهن (صيحة واحدة)، على أن (كان) تامة، و(صيحة) فاعل أي ما وقعت إلا صيحة واحدة.
- ٢- قرأ الباقر: بنصبهن على أن (كان) ناقصة، أي: ما كانت هي، أي: الأخذ إلا صيحة واحدة، واتفقوا على النصب {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صِيحَةً وَحِدَةً} إذ هو مفعول ينظرون^(١).

الجمع بين القراءتين:

من قرأ: (صيحة) بالرفع فعلى أنها فاعل، أي، ما وقع إلا صيحة واحدة. والقراءتان تفيدان معنًا متقاربًا، وتبين الآية الكريمة هوان الكفار على الله ﷻ واستحقاقه سبحانه لهم، وإهلاكهم بالصيحة؛ نتيجة تكذيبهم للنبي المرسل لهم وقتلهم إياه، والله أعلم. المطلب التاسع: قوله تعالى: {يَا أَيُّ دُنِّ بُ قُتِلَتْ ٩} [التكوير: ٩].

القراءات:

- ١- قرأ أبو جعفر: {قُتِلَتْ} بتشديد التاء الأولى.
- ٢- قرأ الباقر: {قُتِلَتْ} بالتخفيف^(٢).

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٥٣)، البدور الزاهرة (ص: ٣٣٠).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٩٨)، الإتحاف (ص: ٥٧٣).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله: {وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)} بمعنى: سألت الموءودة الوائدين: بأي ذنب قتلوها؟^(١).

وقرأ الجمهور: (قُتِلَتْ) بالتخفيف مبنياً للمفعول، وقرأ أبو جعفر: بالتشديد (قُتِلَتْ) على التكرير^(٢).

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات: يتبين أن العرب لما كثر القتل -على قراءة التشديد- لبناتهم خشية العار وخوف الطعام؛ سألت كل واحدة منهن عن سبب قتلها على قراءة التخفيف.

المطلب العاشر: قوله تعالى: {يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۖ} [البَد: ٦].

القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر: (لُبَدًا) بتشديد الباء.

٢ - قرأ الباقر: (لُبَدًا) بتخفيفها^(٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

(لبد) اللام والباء والذال كلمة صحيحة؛ تدل على تكرر الشيء بعضه فوق بعض، ومن ذلك اللبد، وهو معروف، وتلبدت الأرض، ولبدها المطر^(٤)، وصار الناس عليه لبداً، إذا تجمعوا عليه، و(لبداً) أيضاً على وزن فُعل^(٥)، لبد بالمكان يلبد لبوداً ولبد لبداً وألبد أقام به ولزق فهو ملبد به، ولبد بالأرض وألبد بها إذا لزمها فأقام.

قال الفراء: اللبد الكثير، وقرأ أبو جعفر (لُبَدًا)، مشدداً؛ فكأنه أراد ما لا لبداً^(٦).

(١) جامع البيان (١٢/٤٦٤).

(٢) فتح القدير (٥/٥٤٩).

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٤٠١)، الكنز (ص: ٣٠٢)، الإتحاف (ص: ٥٨٥)، تحبير التيسير (ص: ٢٩٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٢٨).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٢٩).

(٦) لسان العرب (٣/٣٨٥).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور: (لبدا) بضم اللام وفتح الباء. قال أبو عبيدة: لبدا: فعل من التلبيد، وهو المال الكثير بعضه على بعض. قال الفراء: واحدته لبدة، والجمع لبدا^(١).

وقرأ أبو جعفر: (ألبدا)، والمعنى: أبحسب أن لم يره أحد، أي: حين كان ينفق ما ينفق رثاء الناس، أو حرصاً على معادته، يعني: أن الله تعالى كان يراه، وكان سبحانه عليه رقيباً، فهو ﷻ يسأله عنه ويجازيه^(٢).

الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات: يتبين أن من قرأ (ألبدا)، فالمعنى: أن هذا الكافر يزعم أنه أهلك في عداوة محمد ﷺ ما لا كثيراً.

ومن قرأ (ألبدا) بضم اللام وفتح الباء المشددة، فالمعنى: أنه من قدرته على تفريق المجتمع لديه فوق بعضه متلبداً في عداوته لمحمد ﷺ فلا يخاف فناءه من كثرة تجمعه لديه.

الخاتمة:

وبهذا قد انتهى الكلام على هذه الانفرادات الفرائد، المليئة بالفوائد، المستكملة العواضد، وإني بعد هذه الإطلالة السريعة، والتحليق الجميل في سماء لطيف هذه الانفرادات في هذا البحث؛ لأوصي بمزيد العناية بانفرادات القراء توجيهاً وبياناً؛ حيث فيها الكم الهائل من المعاني اللطيفة الجسيمة؛ ولا شك أنها تُضفي على الآي القرآني جمالاً فوق جمال، وكمالاً على كمال؛ وإنَّ القراءات إن حيكّت ونسجت مع بعضها؛ فإنها تُنتج ثوباً جميلاً من الإعجاز الذي يدل على قوة بيان، وبلاغة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يستطيع أحد على معارضته؛ بصّرنا الله بدلائله، ولطيف إشاراته وبيّناته؛ اللهم آمين.

هذا والله أعلم وصلى الله على رسول الله.

(١) فتح القدير (٦٢٩/٥).

(٢) روح المعاني (١٣٦/٣٠).